وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل(ط1): 181835077745

رقم التسجيل(ط2): 181835078103

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر LMD، تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

الأصول المعرفية للنظرية اللغوية عند تمام حسان

اللغة العربية معناها ومبناها أنموذجا

إعداد الطالبتين:

– مشري أحلام

–كيرواني هديل

أمام لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	أ.د عبد القادر العربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
02	أ.د جلول دقـــي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
03	أ.د قويدر شـنان	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444/1443هـ. 2023/2022م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): كيرواني هديل الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 209014[illegible] والصادرة بتاريخ 04/04/2013 بدائرة ليرهوم
المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي لسانيات عامة
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
الأصول المعرفية للنظرية اللغوية عند تمام حسان كتاب اللغة العربية معناها ومبناها انموذجا.

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في

: ../../....

إمضاء المعني

18 جانفي 2021
للتوقيع على الترخيص
عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه رئيس الدائرة الإقليمية

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): مشري احلام الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: [illegible] والصادرة بتاريخ: 20/01/14 مقرة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي لسنة: ثالثة

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

الأصول المعرفية للنظرية اللغوية عند تمام حسان كتاب اللغة العربية معناها ومبناها أنموذجا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في 07 JUIN

..../../..:

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

شكر وعرفان

نتوجه أولا بالشكر للّه جلّ وعلا الذي أرشدنا وأنار دربنا ويسر لنا طريقنا كما يقتضي أن نتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص للأستاذ المشرف "دقي جلول" الذي كان له الفضل في قيامنا بهذا البحث، وبعثه إلى الوجود، وعلى صبره الجميل معنا وسعة تفهمه وتواضعه وعلى الوقت الذي أنفقه في سماعنا وتوجيهنا وتصويب أخطائنا وهفواتنا على حساب انشغالاته العلمية فجزاه الله عنا كل خير وادامه فخرا للعلم وذخرا له وعونا لطلابه.

ولا يفوتنا تقديم الشكر الكبير لجميع أساتذة جامعة المسيلة قسم اللغة والادب العربي، نخص بالذكر الأستاذ "ياسين بوراس" على تشجيعه ودعمه للبحث العلمي الجاد.

وإلى زميلاتنا في الدفعة ومن أعاننا في كتابة هاته الأسطر الأستاذ "مشري سفيان".

والشكر موصول إلى كل من أعاننا من قريب أو بعيد حتى ولو بكلمة زادتنا قدرة على المواصلة والتقدم والاجتهاد.

فجزى الله الجميع خير الجزاء ووفقنا ووفقهم إلى ما يحب ويرضى ... آمين.

إهداء

بسم الله وبعد، من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

إلى الينبوع الذي لا ينضب ولا يمل العطاء إلى من غرست في قلبي حب العلم وشجعتني وأنارت بدعواتها طريقي إلى والدتي العزيزة أقدم لك هذا العمل.

إلى الذي سعى وشقي لأنعم بالراحة والأمان من كان شامخا كالجبال، إلى سندي في الحياة من علمني الإرادة ورسم لي درب الحياة ويسره، إلى أبي الغالي أقدم هاته الثمرة على صبره.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكرهم فؤادي إخوتي كل باسمه " ياسين، سفيان، حمزة، جلال، حنان، عماد ".

إلى أجمل نحمة في سمائي الكتكوتة " وفاء ".

كلما علوت وارتقيت أيقنت أن هناك من يستحق الشكر والعرفان إلى زوجي العزيز أشكرك جزيل الشكر.

إلى من علموني حرفا من ذهب ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح أساتذتي الكرام، أخص بالذكر الدكتورة " حياة بوخلط " وأستاذي المشرف " دقي جلول ".

إلى من عشت معهم سنوات وسرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح، إلى زميلاتي وزملائي كل باسمه. أخص بالذكر زميلتي " هديل ولبنى " ينابيع الصبر والتفاؤل وكل الشكر لمن قدم لي العون من قريب أو بعيد.

أحـــــلام

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم، به افتتحت وعليه توكلت له الفضل من قبل ومن بعد فلله الحمد، من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

فإلى أصحاب الفضل علينا: تربية، رعاية، وعلما، وبحثا، إلى أعز الناس أهدي هذا العمل إلى التي حملتني وأشبعتني عطفا وحنانا وسهرت من أجلي وعلمتني مبادئ الحياة وسر الوجود " أمي الغالية ".

إلى من شقي وسعى من أجلنا وكان لي سند الحياة وعلمني معنى الصبر والجد إلى أبي العزيز بارك الله في عمره.

إلى من هم سندي في الحياة إلى إخوتي كل باسمه " يعقوب، خليل، امين، والمدللة الصغيرة راما ".

إلى إخوتي في الحياة الجامعية، إلى من عشت معهم أحلى السنوات بأجمل الذكريات، أخص بالذكر " أحلام ولبنى ".

إلى الأستاذ " دقي جلول " فله عظيم الشكر والتقدير فألف تحية لأستاذنا الفاضل.

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع.

نسأل الله أن يجعل هذا البحث نبراس علم.

هديـــل

مقدمة

مـقدمـة

عرف الدرس اللساني العربي تطورا كبيرا منذ اتصال الثقافة العربية باللسانيات الحديثة في العالم الغربي عن طريق البعثات العلمية، إذ نشطت عملية التأليف في هذا العلم الحديث قصد التعريف به وبمختلف مدارسه ومناهجه، ثم انتقل هذا النشاط من مجرد التعريف بهذا العلم وترجمة المؤلفات الغربية التي أسست له إلى النظر في اللغة العربية بالاعتماد على معطيات اللسانيات، سعيا لجعل البحث في هذه اللغة يتسم بالعلمية.

وقد اتجه هذا النظر في اللغة إلى البحث في التراث اللغوي العربي من خلال الموروث اللغوي الذي خلفته ثلة من علماء العربية القدامى حيث حاولت الجهود العربية الوصول إلى وضع نظرية جديدة للنحو العربي تساير اللغة العربية في شكلها الحديث وتسعى إلى تيسير النحو، فبرز في هذا المجال عدة اتجاهات تأثرت في عمومها بالنظريات اللسانية الغربية، إذ صنفت هذه الجهود في تيارات تنظر إلى اللغة العربية وفق المبادئ التي بنيت عليها تلك المدارس الغربية، وأهم هذه الاتجاهات ما يأتي:

1-الاتجاه الوصفي البنوي؛ إذ اتبع أصحابه طريقة الوصفيين الغربيين في تعاملهم مع النحو التقليدي، فكانت نظرتهم إليه نظرة ناقدة يدعو أصحابه إلى رفض كثير من

مقولات النحو العربي خاصة التعليل، واقترح بعضهم بدائل اعتبروها قادرة على وصف اللغة العربية أفضل من مقولات التراث.

2-الاتجاه التأصيلي، سعى أصحاب هذا المنهج إلى تأصيل بعض جوانب النظرية النحوية العربية من خلال مقابلتها بنظيراتها في النظرية اللغوية الحديثة، إذ قد يقابل النحو العربي مع النظريات الغربية كلها، أو يكتفي أصحاب هذا الاتجاه بمقابلة النحو العربي مع نظرية لغوية واحدة كالنحو التوليدي.

3-الاتجاه التوليدي أو التفسيري؛ وقامت على النظرية التوليدية، وضمن هذا الاتجاه مازن الوعر، الذي تأثر في منهجه هذا بما جاء به نوام تشومسكي ومن التفوا حوله، وبعض المتأخرين ممن طوروا هذه النظرية كأمثال كاتز، وفودور، وبريزنن.

4-الاتجاه الوظيفي؛ تبرز في هذا المجال أعمال أحمد المتوكل الذي نقل النظرية الوظيفية إلى الثقافة العربية، وحاول إعادة بناء النحو العربي وفق هذا الاتجاه.

5-الاتجاه التوليفي؛ الذي يقوم على خصائص نحو اللغات التوليفية، ويمثل هذا الاتجاه الحديث من خلال النظرية النسبية.

فكان الهدف من وراء هذه التوجهات هو إعادة وصف اللغة العربية وفق ما يتطلبه العصر الحديث، وان كانت هذه الاتجاهات لم تقدم -باتفاق كثير من النقاد -نموذجا

جديدا للغة العربية، ولم تزد عن كونها مبادرات غالبا ما تكون فردية، وقاصرة في المجال الإجرائي، فبقيت اقتراحات نظرية مبنية على خلفيات معرفية غربية.

ومع الدور الإيجابي الذي لعبته تلك الجهود اللسانية العربية في التعريف بهذا العلم، وما صاحب ذلك من إسهاماتهم في إعادة قراءة التراث وفق المناهج الحديثة مما ساعد على فهم الكثير من القضايا اللغوية القديمة التي لم تفهم وبقيت مستغلقه على أذهان الباحثين العرب، وكذا ترجمة منتجات اللسانيات في الغرب، إلا أن تلك الجهود لم تخل من عيوب جعلت النقاد يحكمون عليها بالفشل في الوصول إلى الغاية التي تسعى إليها كل دراسة علمية للغة؛ فبقيت هذه الإنتاجات اللسانية المتراكمة في عمومها خطابات فكرية لم ترق إلى العلمية، مما أبعدها عن وضع نظرية لغوية عربية جديدة تقف إزاء النظريات الغربية، فتكون عربية الهوية حديثة الطرح تستجيب لروح العصر.

ومما يلاحظ على هذه الجهود العربية أن أصحابها يصرون على أنها تعد بدائل للدراسات اللغوية القديمة، وأنها تقف بإزاء الدراسات اللغوية الحديثة كما –سبقت الإشارة إليه –وأكثر من ذلك، فقد ظهرت موجة من الخلاف بين أصحابها حول أي منها أصلح لتكون في تلك المرتبة. أدى ذلك إلى بروز موجة من النقد والإقصاء بين هؤلاء الدارسين مما أثر سلبا على الدراسات اللسانية العربية الحديثة، وجعل من أمر تلقيها مستعصيا

حتى على النخبة، إذ اتصفت تلك الجهود بالتباعد والتنافر بينها مما جعلها توصف بالضعف وأصبح راهنها يقلق النقاد المهتمين بالدرس اللساني العربي الحديث.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع في الدراسات اللغوية وأثره في مجال الدرس اللغوي أردنا أن نبحث في إحدى المدونات اللغوية لتمّام حسان "كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" وذلك من خلال مايلي:

- بيان التفكير اللغوي عند العرب؛
- ابراز مكانة اللسانيات في الثقافة العربية؛
- تسليط الضوء على الاجتهادات اللغوية لتمّام حسان الذي تناول التراث النحوي العربي بمنظور اللسانيات الحديثة؛
- محاولة اخراج الدرس النحوي في حلة جديدة تليق بمقامه وتتناسب والتطور الذي شهدته اللسانيات الحديثة.

جاءت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على هذا الواقع من خلال التطرق لجهود لساني عربي محدث هو " تمّام حسان "، وذلك بالتطرق بالعرض والمناقشة لجهوده اللسانية ونموذجه في دراسة اللغة العربية، وكان ذلك انطلاقا من جملة من الإشكاليات، نلخص أهمها في النقاط الآتية:

- كيف كانت نظرة من تمّام حسان للموروث اللغوي العربي؟

- ما الجديد الذي يحمله المشروع اللساني له فيما يخص إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا؟
- على أية خلفية مرجعية يستند المشروع اللساني له؟
- كيف يمكن تطبيق النظريات اللسانية الغربية على اللغة العربية دون المساس بخصائصها؟
- ما السبيل إلى مقاربة الجهود اللسانية العربية بمختلف اتجاهاتها، وجعلها تعمل متضافرة لخدمة اللغة العربية والرقي بها.
- هل استطاع تمّام حسان بنموذجه في دراسة اللغة العربية المساهمة في رقي اللغة العربية؟

يروم هذا البحث من خلال النظر في الجهود اللسانية العربية الحديثة إلى تحديد أوجه الأصالة فيها، وتأكيد أحقيتها في أن تقف إزاء النظريات الغربية من حيث التعاطي مع القضايا اللغوية العربية، وان كانت في منهجها متأثرة بتلك النظريات، لكنها لم تلغ خصوصية اللغة العربية فلم تطوع تلك القضايا إلى مقتضيات المناهج الغربية.

والدافع لهذا البحث هي الحاجة إلى متابعة الدراسات اللسانية المتعلقة بالتعريف بالجهود المتميزة في حقل اللسانية العربية الحديثة، وكذا مكانة تمّام حسان اللغوية بين كثير من العلماء، باعتباره زاوج بين التراث والحداثة، فاخترناه موضوعا لمذكرتنا لنقف

على آرائه اللغوية. أيضا "كتاب اللغة العربية معناها ومبناها" الذي هو حصيلة آرائه ونتاج أفكاره تعود إلى بدايات بحثه في اللغة، كما أنه يعد أول محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني بشهادة معظم الدارسين وقد وصفه سعد مصلوح بالكتاب الجديد بعد كتاب سيبويه.

ولما كان المنهج المتبع في الدراسة بمثابة الطريق والدليل في الرحلة، فقد اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يتناسب مع هذه الدراسة.

وقد انتظم البحث في فصلين بين الجانب النظري والتطبيقي، وقد سبقتهما هذه المقدمة وتلتهما خاتمة.

وجاء الفصل الأول بعنوان: " الإطار المعرفي للسانيات العربية "، مستعرضا المباحث الآتية:

1- التفكير اللغوي عند العرب

2- ظهور اللسانيات في الثقافة العربية

أما الفصل الثاني المعنون:" النظرية اللغوية عند تمّام حسّان بين النقل والتقليد "، فقد شمل المباحث الآتية:

1- خصائص نظرية تمّام حسّان

2- موقف تمّام حسّان من التراث اللغوي العربي

3- إعادة وصف اللغة العربية

4- آراء تمام حسان في التعليمية.

لتكون قائمة المصادر والمراجع وفهرس المحتويات ختام هذا البحث، حيث كانت أهم المصادر التي اعتمدنا عليها:

- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين.
- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي.
- كتاب تمّام حسّان اللغة العربية معناها ومبناها وأيضا كتابه إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا.

وكما لا يخلو أي بحث من بعض الصعوبات، فقد واجهتنا نحن كذلك تمثلت في:

- كثرة كتب تمام حسان التي جاءت شرحا وتطبيقا لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها.
- نقص المراجع والدراسات التي تناولت مؤلفات تمام حسان وأيضا كان من بين الصعوبات الطريقة التي يعالج بها أفكاره والمنهجية التي يظهر بها مواقفه.
- قلة الوقت.

وبعون الله تعالى وبفضله وبمساعدة المشرف تمكنا من تجاوز بعض الصعوبات والتغلب عليها، ولا ندعي بهذه الدراسة المتواضعة أننا أحطنا بكل صغيرة وكبيرة فيما يتعلق بالموضوع.

فكان عملنا مبنيا على الاجتهاد الذي من طبيعته الخطأ والنقصان، وقد وضعنا الفكرة ومهدنا الطريق لغيرنا للبحث، ولا يسعنا إلا أن نحمد الله عز وجل الذي أعاننا على إنجاز هذا البحث، فله الحمد والشكر.

الفصل الأول

الإطار المعرفي للسانيات

العربية

توطئة:

تجلت الأبحاث اللغوية العربية منذ القديم، وحتى الجهود اللغوية الحديثة، انطلاقا من تمركزها على عدة مرجعيات وخلفيات، تعتمد كل منها على ثقافة أصحابها وكذا الغاية التي يسعى كل منهم إلى تحقيقها وإثباتها في حقل الدراسات اللغوية العربية.

ومن أجل توخي العلمية في تناول الجهود اللغوية العربية، وتفاديا الوقوع في أخطاء منهجية تجعل البحث يصدق عليه حكم زكي نجيب محمود، عندما لاحظ على الأعمال التي تبحث في اللغة العربية بأنها قد اجتنبت الغاية، فمن يتصفح الجهود العربية التي عنيت بالت ارث العربي يلاحظ أصحابها أحد اثنين:" فإما ناقل لفكر غربي واما ناشر لفكر عربي قديم.

فلا النقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا معاصرا. لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر «العربي» وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر «المعاصرة»"[1]، على خلاف الفكر الغربي الذي " شق طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولد للقطيعة، ولقد تسنى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير رواده العلمانيين فكان الصراع المنهجي خصيبا إلى حد الطفرة أحيانا "[2].

---

[1] زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2 ،1973م، ص 254.

[2] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 ،1986م، ص 11.

لذلك وجب تناول ما قدمه علماء العربية القدامى وفق سياقه ومحاولة إنزاله المنزلة التي يستحقها دون الانحياز له ولا انتقاده بغير علم من أجل الانتقاص من قيمته. ويتأتى ذلك من خلال تتبع المراحل التي عرفتها الجهود اللغوية، وهذا التتبع التاريخي للنشاط اللغوي العربي هو من أجل البناء المنهجي للموضوع قيد الدراسة، فاسترجاع تاريخ الدراسات العربية التراثية "لا يعني البتة العودة إلى الوراء، أو البكاء على الماضي وتمجيده والتعلق به، كما أن هذا لا يعني إلقاء مشاكل الحاضر وهمومه على الماضي في أشكاله المختلفة ومواقفه المتباينة "[1]، وانما يكون ذلك من أجل ربطه بالحاضر ومحاولة إيجاد "الحلقة المفقودة" في الفكر اللغوي العربي، وربط التراث بالحداثة ليكمل أحدهما الآخر مع التركيز على مميزات العقل العربي في كلتا الفترتين.

1- التفكير اللغوي عند العرب:

ارتبطت نشأة العلوم اللغوية عند العرب بنزول القرآن الكريم، فقد كان هذا المستجد في البيئة العربية دافعا قويا للاهتمام به وامعان النظر في طيّاته، سيما أنه جاء جليلا من حيث فصاحة ألفاظه، ومتانة نظم عباراته، فكان معجزا في لفظه ونظمه، خاصة أنه خطاب تحدى به الله عزّ وجلّ قوما أهم ما عُرف عنهم براعتهم اللغوية، وهذا ما جعل

---

[1] حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1 ،2009م، ص20.

فريقا من العرب القدامى يبحثون في سرّ هذا الإعجاز وخصائص هذه المزية التي ينعت بها الخطاب الربّاني، ولعل ظهور رسائل تبحث في غريب القرآن خير دليل على ذلك•.

غير أننا نلمس إجماعا عند اللغويين بأن اللحن ظهر في صدر الإسلام أو بعده بقليل، ودليل ذلك قول ابن فارس (ت 395هـ):" فأما اللّحْن بسكون الحاء فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية. يقال لَحَن لَحْنا. وهذا عندنا من الكلام المولَّد، لأنّ اللّحن مُحْدَث لم يكن في العرب العاربة الذين تكلَّموا بطباعهم السليمة".

ومن ثمة ظهرت الجهود اللغوية الأولى؛ فقد أجمعت الدراسات التي أرخت لنشأة الدرس اللغوي العربي أن أبا الأسود الدؤلي (ت 69هـ) ممن له فضل السبق في هذا المجال، فمن قال ": إن أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئا من هذا، وهو أنه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا تكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمة موضع فتحة، فجاء بعد من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق، فاخترع تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف والاسم إلى ظاهر، ومضمر، وغير ظاهر ولا مضمر، وباب التعجب، وباب إن"[1].

• كان أول كتاب في غريب القرآن لعبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الملقب بحبر الأمة وبترجمان القرآن المتوفى سنة 29هـ، ثم تعددت الكتب التي تحمل عنوان (غريب القرآن) و (غريب الحديث) .

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ج5 1979م مادة (لحن).

2- ظهور اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة:

بعد مرور مدة طويلة من العطاء والإنتاج الفكري ميّزا البيئة العربية، وجعلا بعض الباحثين يذهبون إلى حد الجزم أن تكون أية لغة قد نالت من الاهتمام والبحث فيها ما نالته اللغة العربية، عاشت المجتمعات العربية سباتا فكريا –تحت تأثير الحملات الاستعمارية الأوربية –وانتقلت عوامل الازدهار إلى أوربا بعدما عرفت بدورها نهضة في شتى المجالات، وخاصة في العلوم والصناعات. ثم سنحت الفرصة من جديد للعرب أن ينظروا في لغتهم ويبحثوا فيها، لكن بشكل مختلف عما عرفه أجدادهم وفي ظروف مختلفة عن الدراسات العربية القديمة.

وقد كانت هذه النهضة العربية نتيجة حملة نابليون بونابارت على مصر، وتخللتها محاولات الإنجليز التغلغل في المجتمع المصري، فكان من ذلك أن دخلت ألفاظ جديدة إلى اللغة العربية، وكانت هذه الألفاظ "تتعلق بشتى علوم وفنون وصناعة المدنية العصرية كالمخترعات وأجزائها وشتى العقاقير والأدوات وأصناف المطاعم والمشارب وأوانيها وضروب الأثاث وما إليه، ومظاهر الحياة الحضرية من ألعاب ومجامع ونحوها"[1].

[1] تيمور محمود، مشكلات اللغة العربية، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1 ،2006م، ص 8.

فنتج عن ذلك انتعاش في شتى ميادين الحياة، وانكب العرب على هذه المستجدات يحاولون الاستفادة منها ومواكبة ما كان يصلهم من مظاهر التحضر عن طريق نقلها إلى اللغة العربية لنشرها في المجتمع، فكان أن ظهرت الترجمة كنشاط اعتمده العرب في تلك الفترة من أجل هذا النقل؛ إذ "تطلبت الحركة الفكرية الجديدة بمصر وغيرها من الأقطار العربية من اللغة العربية جهودا جبارة لمواكبة مظاهر التحولات التي عرفتها مناحي الحياة العربية، مما نشأ معه حركة لغوية جديدة تمحورت أساسا حول الترجمة إلى العربية وإيجاد المصطلح العربي الملائم"[1].

يضاف إلى العوامل السابقة عامل آخر، لا يقل أهمية عنها في تنوير العقل العربي وبعثه من جديد، وهو الدور الذي أداه المستشرقون في نقل المناهج والمعارف الغربية إلى الثقافة العربية عندما قامت مصر باستقدامهم للتدريس في المعاهد والمدارس التي أنشأتها، فكان لهم الأثر الكبير في نشر العلوم والمعارف ونقلها إلى الطلبة الذين لم يكن لهم حظ الهجرة إلى أوربا وبقوا يدرسون في المؤسسات داخل الوطن.

بدأ عصر جديد في المجتمعات العربية –باجتماع العوامل السابقة –بدءا بمصر ودخلت الثقافة العربية طورا آخر حيث تعرفت من جديد – ولو في صورة مختلفة –على

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص 7.

العلوم التي كانت هي السباقة إلى تأسيس أصولها الأولى، ثم استلمها الغرب فيما بعد وطوروها في عصر الركود الفكري العربي كالطب، والرياضيات، والفلك، والعلوم الاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها.

2-1 النهضة اللغوية والإطار الفكري لظهور اللسانيات العربية:

يجمع الدارسون المهتمون بالبدايات الأولى لانتقال الفكر اللغوي الحديث إلى المجتمع العربي والمصري بالتحديد، أنه لا يمكن تحديد الفترة الزمنية التي حدث فيها هذا الانتقال بشكل دقيق، لكنهم يربطونه بالبعثات العلمية التي قام بها محمد علي لفائدة عدد من الطلبة المصريين، واسهامات رفاعة الطهطاوي الذي أوفد إلى أوربا واعضا لهؤلاء الطلبة الشباب الذين استفادوا من هذه البعثات، لكن كانت له اهتمامات في اللغة موازاة مع مهمته الأساسية التي من أجلها سافر إلى فرنسا؛ "فقد أثار في بعض كتبه الاهتمام بدراسة اللغات واللغة الفرنسية أثناء بعثته هناك ودعا إلى إنشاء مجمع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي، كما ظهرت بعض أفكار الدراسة اللغوية الحديثة في مقالات نشرها المقتطف وفي كتابات جورجي زيدان الذي نشر في فترة مبكرة

كتابين في اللغة أحدهما كتاب "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية"(1886) والثاني "اللغة العربية كائن حي"[1].

[1] حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، مصر، 1996م، ص 139.

أما من لم يسعفه الحظ في السفر إلى أوربا، ومعايشة التطور الحاصل في جميع المجالات، فقد تلقوا تكوينا في الجامعات المصرية، إذ أُنشئت في مصر الجامعة الأهلية (1908م)، التي كان لها "أثر في تداول واشاعة جانب من الدراسة اللغوية الأوربية، وازداد هذا الاهتمام عقب تولي الدولة أمر الجامعة (1925م) وكان علم اللغة التاريخي المقارن للغات السامية هو المنهج السائد في دراسة وتدريس اللغات طول هذه الفترة وبعدها أيضا. إذ كان هذا الفرع من الدراسة اللغوية من المواد الأساسية التي تدرس في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب بالجامعة المصرية"[1].

وتولى عدد من المستشرقين الذين استقدمتهم الجامعة المصرية مهمة التدريس والبحث في فقه اللغات السامية، وعلى يدهم تكون مجموعة من الباحثين، وكان معظم هؤلاء المستشرقين ألماناً، من أمثال "أنو ليتمان" و"بول كراوس" و"شاده"، وأشهرهم "برجشتراسر" صاحب كتاب "التطور النحوي للغة العربية،" حيث كان هذا الكتاب "ممثلا لهذا الاتجاه التاريخي المقارن في فقه اللغات السامية فهو عبارة عن مجموعة من

المحاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام (1929م). وفي هذا الكتاب نجد المنهج التاريخي المقارن مطبقا على اللغة العربية بالإضافة إلى بعض أفكار البنيوية الوصفية"[2]

---

1 حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 139.

2 نفسه، ص 140.

فقد ساهم هؤلاء المستشرقون في التعريف بالمنهج السائد في أوربا آنذاك، وتكوين باحثين عرب، ومحاولة إرساء منهج جديد في دراسة اللغة العربية مختلف عما قام به علماء اللغة القدامى من خلال ربطها ومقارنتها بشقيقاتها من اللغات السامية، فقد كان لهم دور فعال فيما عرفه الدرس اللغوي العربي الحديث من نهضة فكرية ومنهجية.

لقد ظل البحث اللغوي في البلاد العربية في مجال النحو والصرف متبعا المناهج التقليدية متمثلة في المنهج التاريخي المقارن، حتى إن مصطلح (علم اللسان) كان مقترنا بهذه الدراسات التاريخية، كما اشتهر أيضا مصطلح (فقه اللغة) للتعبير عن الجهود اللغوية للمستشرقين والتي كانت تدور حول دراسات اللغات السامية والمقارنة فيما بينها إلى أن بدأ عدد من الطلبة المصريين المستفيدين من البعثات إلى أوربا ممن تخصصوا في علم اللغة يعودون، ويبشرون بمنهج جديد في دراسة اللغة، متأثرين في ذلك بآراء أساتذتهم في أوربا ومتتبعين النظريات اللغوية التي تكونوا فيها، فعادوا إلى البلاد العربية محملين بأفكار واجراءات جديدة لم تعرفها هذه البلاد سابقا، فكانت هذه الأفكار

والإجراءات في غالبها تحمل في طياتها ثورة على نمط الدراسة السائد في تلك الفترة سواء عند التراثيين أو المجددين المتبعين للمستشرقين، ومن هنا فقد عكف هؤلاء الطلبة العائدين على وضع مؤلفات ترنو إلى التعريف بالمنهج الجديد. لكن الغريب في الأمر أن التعريف بهذا المنهج "جاء من عالم في الاجتماع هو الدكتور علي عبد الواحد وافي. الذي نشر عام (1941م) كتابين أحدهما بعنوان علم اللغة والآخر بعنوان فقه اللغة" [1].

وفي المقابل فقد كان في البلاد العربية من نادى بضرورة إعادة إحياء التراث اللغوي العربي والتمسك بما جاء به الخليل وسيبويه وغيرهما من أئمة النحو العربي، وعدم الانسياق كليا وراء الدراسات الغربية، ورفضوا فكرة تطويع اللغة العربية وقواعدها لهذه المناهج الغربية الغريبة عن الفكر العربي، فيما ظهر فريق ثالث يدعو إلى محاولة قراءة النحو العربي وفق المناهج الغربية، وبذلك تفادي خلق قطيعة مع الموروث اللغوي من جهة، ومن جهة أخرى، الحرص على عدم التقوقع في التراث وبذلك تضيع فرصة الارتقاء بالدراسة اللغوية العربية والتجديد فيها.

2-2 المناهج اللسانية العربية الحديثة:

بدأت تظهر في البيئة العربية مجموعة من المذاهب يمثلها ثلة من الدارسين العرب نتيجة لهذا الواقع الجديد الذي ميز الدرس العربي، والتطورات التي طرأت على الدرس

للساني في أوربا، وتواصل وفود الطلبة العرب على الجامعات الأوربية والأمريكية، وبدأت

تظهر علاقة بين المناهج اللسانية الغربية والبحث اللساني العربي من خلال ما قدمه أعلام

الدراسات اللسانية العربية في المشرق والمغرب أمثال: كمال بشر، وتمام حسان، ومازن

---

[1] حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 142.

الوعر، وغيرهم ممن قدموا تجارب رائدة في حقل الدراسات اللسانية العربية، ويمكن حصر أهم هذه المذاهب والمناهج اللسانية العربية فيما يأتي:

2-2-1 المنهج الوصفي التقريري:

يعتمد أصحاب هذا الاتجاه على "المنهج البنيوي الوصفي التقريري في دراسة النحو دراسة شكلية تستبعد منه نظرية العامل والتقدير"[1]، ومعنى هذا أن الوصفية تقوم على دراسة الواقع اللغوي ووصفه دون التعليل لظواهره أو محاولة تفسيرها، ومن هنا فقد كان "اعتبار دراسة اللغة دراسة شكلية خارجية هي المنهج الأسلم في وصفها نحويا وصرفيا، وصوتيا؛ لذلك ينفرون من التعليل القائم على التأويل، والتقدير، والمقايسة العقلية لا الشكلية بين ظاهرتين أو حكمين، لأن العلة المقبولة عندهم تلخصها قوله: هكذا نطقت العرب"[2].

ويعد كل من إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب، وتمام حسان أهم الدارسين العرب الذين تبنوا المنهج الوصفي في بحوثهم التي قدموها للقارئ العربي.

يتلخص أسلوب الوصفيين في النظر والتحليل، وتتوقف نجاعة أية عملية وصفية على مدى مناسبة تطبيقها على المسألة اللغوية، "فإن كان تطبيقها مناسبا للمسألة كانت

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن، ط1 ،2000م، ص 224.

[2] نفسه، ص 225.

أسلوبا ناجحا في دراستها، وان كان تطبيقها هدر لبعض العناصر اللغوية، كانت أسلوبا غير ناجح في دراسة المسألة، مع الإقرار بأن معيار النجاح أو عدمه أمر نسبي يتفاوت فيه الباحثون"[1].

في المقابل، فإن ثلة من اللسانيين العرب الذين تبنوا هذا المنهج قد انساقوا وراء إجراءاته انسياقا جعلهم يرفضون الدراسات اللغوية العربية القديمة متمثلة في النحو ونقدوه

إلى حد التهجم عليه أحيانا، ورفض الكثير من نتائجه خاصة ظاهرة التعليل، وقد يعود ذلك أساسا إلى تأثر الوصفيين العرب بالوصفيين الأوربيين، إذ إنهم وجدوا "فيما صح من

نقد الأوربيين لت ارثهم النحوي ينسحب على الت ارث النحوي العربي، كما صح عندهم أن التراث النحوي العربي تضمن العيوب نفسها التي تضمنها التفكير النحوي الأوربي القديم.

ولم يتخذ هذا المنطلق في عمل الوصفيين العرب شكل الافتراض، بل كان حاضرا لديهم حضور البديهة، فكان بذلك منطلق كل دراساتهم"[2].

فقد شهد منتصف القرن العشرين، "وخاصة العقد السادس والسابع منه هجوما من بعض الباحثين على جوانب من النحو العربي بتأثير تبني معظمهم المنهج البنيوي الوصفي

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 226.

[2] حافظ إسماعيلي علوي، النحو العربي واللسانيات الوصفية، مجلة فكر ونقد، ع72، أكتوبر 2005، ص 54.

، مثل الدكتور عبد الرحمن أيوب، في كتابه: "دراسات في النحو العربي" والذي نشره أول مرة سنة 1957م، والدكتور تمام حسان في كتابه: "اللغة بين المعيارية والوصفية" الذي نشره أول مرة سنة 1958م، والدكتور إبراهيم السامرائي في كتابه "الفعل: زمانه وأبنيته" الذي نشره أول مرة سنة 1966م"[1].

أما عن أهم الأمور التي عاب الوصفيون العرب النحو العربي عليها، اعتمادا على المنطلقات والأسس التي اعتمدها الأوربيون في نقدهم لتراثهم النحوي، فقد لخصها عبده الراجحي فيما يأتي[2]:

1. أن النحو العربي قد تأثر بالمنطق الأرسطي منذ مراحله الأولى، وأن هذا التأثر صار طاغيا في القرون المتأخرة، وقد أدى ذلك إلى أن يكون النحو العربي "صوريا" وليس "واقعيا،" ومن ثم اهتم بالتعليل والتقدير والتأويل، ولم يركز درسه على الاستعمال اللغوي "كما هو".

2. أن النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدث بها أصحابها، وانما لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الأغلب – شعر أو أمثال أو نص قرآني، أي أنه لم يوسع درسه ليشمل اللغة التي يستعملها الناس في شؤون الحياة وانما اقتصره على

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 227.

[2] عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص 48-52.

اللغة الأدبية (...)، وقصر الدرس النحوي على هذا المستوى من اللغة أفضى به إلى وضع قواعد العربية على أساس من النصوص المختارة، مما أبعدهم عن الاستعمال الشائع في هذه اللغة، ولم يكن مناص من أن يواجهوا نصوصا من هذا المستوى الأدبي تخالف ما وضعوه من قواعد، فاضطروا إلى اللجوء إلى التأويل والتقدير واعتساف

التفسير، والاحتكام إلى (الضرورة أو إلى الشذوذ)، بل إلى (وضع) نصوص تسند بعض هذه الأحكام.

3. أن النحو العربي مع تحديده لمستوى اللغة التي يقعدها حدد أيضا بيئة مكانية وزمانية لهذه اللغة، فهو لم يسمح بالتقعيد إلا على اللغة المستعملة في بوادي نجد والحجاز وتهامة

ومن قبائل مخصوصة لم تتأثر بحياة الحضر أو بالاتصال ببيئات لغوية أخرى (...) وهذا التحديد للمكان صحبه تحديد آخر للزمان، فحددوا عصر الاستشهاد بآخر العصر الأموي لما نعرف من عزوفهم الأخذ عن لغة العصر العباسي التي تعرضت لتأثيرات كثيرة من حضارات مختلفة، وهذا التحديد الزماني قد يكون سببا أيضا في امتناع معظم النحاة عن الاستشهاد (بالحديث) لجواز روايته بالمعنى ولكثرة الرواة (الأعاجم) بين المحدثين. ويقرر الوصفيون أن هذا الأصل من أصول النحو العربي جعله نحوا لا يمثل العربية وانما يمثل جانبا واحدا منها، فهو لا يصور إلا هذه العربية التي حددوها مكانا وزمانا، ومعنى ذلك أنه نحو ناقص لا يقدم قواعد الكلام العربي في بيئاته المختلفة.

4. أن النحو العربي لم يميز حدودا واضحة لـ "مستويات التحليل اللغوي"، إنما اختلطت فيه هذه المستويات اختلاطا شديدا.

غير أن ما يلاحظ حول الوصفيين العرب –في نظر مصطفى غلفان –هو أنهم لا يحددون الإطار النظري الذي يشتغلون فيه على وجه الدقة، فمعلوم "أن اللسانيات الوصفية أو البنيوية اتجاهات ومدارس متعددة تتفق في أمور وتختلف في أخرى. غير أن الدارسين العرب لا يهتمون بمسألة التحديد المضبوط للإطار النظري الذي يشتغلون فيه ويوظفونه في تعاملهم مع اللغة العربية"[1].

2-2-2 المنهج التأصيلي:

يسعى أصحاب هذا المنهج أن يؤصلوا لبعض جوانب النظرية النحوية العربية من خلال مقابلتها بنظيراتها من النظرية اللغوية الحديثة، وهذا المنهج التقابلي تختلف إجراءاته عند الدارسين العرب، فقد "يتسع عند بعضهم للمقابلة بين جوانب من نظرية النحو العربي، وجوانب من مناهج النظر اللغوي الحديث كما في بعض أعمال الدكتور نهاد الموسى. وقد يضيق عند بعض أصحاب الاتجاه التأصيلي فيصير مقابلة بين جوانب من نظرية النحو العربي، وجوانب من منهج لغوي حديث كالمنهج التحويلي التوليدي.

---

[1] مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، ص 178.

ويمكن أن يتحقق هذا المسعى عند التأصيليين العرب من خلال "الكشف عن جوانب من التفكير اللغوي عند العرب تتفق وعلم اللغة الحديث سعيا وراء تأصيل هذا

التراث وفق نظريات علم اللغة تمهيدا للكشف عن نظريته الأصيلة "[1]، حيث يبرز ذلك فيما قدمه نهاد الموسى الذي يعد من رواد هذا المنهج من اللسانيين العرب، فقد دعا إلى ضرورة ربط الدرس اللغوي العربي بنظيره الغربي الحديث لأن ذلك "يسعف في تحديد إحساسنا بالنحو العربي في مفهوماته، ومنطلقاته، وأبعاده، ومصطلحه الخاص، ومنهجه الداخلي"[2].

كما يمكن أن يتحقق أيضا من خلال محاولة إثبات "وجود نظرية دقيقة في أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط، وانما بدراسة إبستمولوجية (معرفية) دقيقة لمفاهيم النحاة، وتصوراتهم، وطرق تحليلهم، وبدون إسقاط أي تصور آخر لتصور النحاة العرب المتأخرين أو تصور الغربيين لها "[3].

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 242.

[2] نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، مكتبة وسام، الأردن، ط2،1987م، ص 22.

[3] عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، الجزائر، 2012م، ص 39.

الفصل الثاني

النظرية اللغوية عند تمام حسّان

بين النقل والتقليد

1- خصائص نظرية تّمام حسان اللغوية:

كانت دعامة النظرية اللغوية عند تمام حسان تلك الثقافة المزدوجة التي كان اكتسبها من خلال البعثة العلمية التي استفاد منها، فقد نهل من الثقافة العربية الكثير، كما استطاع، من جهة أخرى، أن يحتك بالمناهج الغربية الحديثة في دراسة اللغة، من خلال تتلمذه على فيرث Firth رائد المدرسة السياقية الإنجليزية، ودليل تأثره العميق بهذه المدرسة اعتباره النحو العربي في مجمله "شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق. والقرائن المعنوية في النموذج النحوي هي قرينة الإسناد (ولها صور) وقرينة التخصيص (ولها صور أيضا) وكذلك النسبة (ولها صورها) والتبعية (ولها صورها) والمخالفة (ولها صورها)"[1].

من خلال هذا التكون العلمي المزدوج الثقافة لتمام حسان، تتحدد معالم النظرية اللغوية التي نادى إليها، وحاول تطبيقها على الدرس اللساني العربي الحديث، وتتمثل في تطبيق النظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية، من خلال المنهج الوصفي التقريري وكذا نظرية فيرث السياقية، "وأعني بالنظرية اللغوية الحديثة هنا، الإطار العام والتحليلي

---

[1] تمام حسان، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13-19 ديسمبر 1978 م، ص 159.

في رأي بعض المؤرخين، كما أعني بها أيضا بصورة خاصة، نظرية فيرث اللغوية، أو بعبارة أخرى، أن النظرية التي طبقها د. تمام في دراسته للغة العربية هي نظرية فيرث"[1].

وهكذا تتحدد الأطر العامة للنظرية اللغوية عند تمام حسان، وهذا ما جعله يضع عمله بصفة عامة وكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" بصفة خاصة (أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر)

2- موقف تّمام حسان من التراث اللغوي العربي:

بنى تمام حسان دراسته للقضايا اللغوية العربية على المزاوجة بين التراث والمعاصرة، فبهذا الجهد المبذول نجح أن يقدم قراءة ثانية للنحو العربي" عبر تآليف أربعة :اثنان منها عرض فيهما أصوَل اللسانيات الوصفية، وهما" مناهج البحث في اللغة " و"اللغة بين المعيارية والوصفية"، أما الاثنان الآخران فقد خصصهما لدراسة التراث وتقويمه، وهما" اللغة العربية معناها ومبناها" و"الأصول"، لكن هذا التقسيم لا يعني أن تقويَم التراث غائب عن كتابيه الأولين، بل كان حاضراً في كتابه الأول حضور الهاجس الملح، وهو الذي قدمه مدخلا لهذا العلم"[2].

بناءً على ما سبق، يفصل البحث في تقديم آراء تمام حسان ومحاولة مناقشتها قصد تسليط الضوء عليها وتفسيرها وعرض آراء الدارسين العرب حولها.

---

[1] حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 219.

[2] خالد خليل هادي، مؤيد آل صوينت، تمام حسان في معيار النقد اللساني، ص 252.

2-1 الدراسات العربية بين المبنى والمعنى:

يعد تمام حسان من بين أكثر اللغويين العرب المحدثين اهتماما بهذه الثنائية، وأكثرهم تتبعا لوفاء النحاة بأحد هذين الوجهين؛ حيث يرى أن "كل دراسة لغوية –لا في الفصحى فقط بل في لغة من لغات العالم –لا بد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى. وهذا النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"[1].

إن المنهج الذي يسعى تمام حسان أن يسير وفقه مشروعه لإعادة بناء هرم النحو العربي، ينبني أساسا على الربط بين العناصر التحليلية والسياق مما جعل بعض الدارسين المحدثين يجزمون–رغم افتقادهم الدليل القاطع –أنه بعمله هذا "ينتسب إلى مدرسة لغوية ذات منحى اجتماعي ما، قد تكون المدرسة البريطانية وقد تكون مدرسة فيرث Firth بالذات من التف حوله من تلامذته فلا شك أن فيرث كتمام حسام يجعل المعنى غاية الدراسات اللغوية وأن فيرث أوقف الدلالة على السياق الاجتماعي"[2].

وصرح تمام حسان في مقدمة كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" باعتماده على

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 9.

[2] محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان ((اللغة العربية معناها ومبناها))، حوليات الجامعة التونسية، ع17، 1979، ص 202.

آراء عبد القاهر الجرجاني، يقول:" أعترف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعنى النحوي والدلالي من هذا الكتاب حيث جرى الانتفاع أحيانا بعبارات هذا العلامة وأحيانا أخرى بإشاراته"[1]، حتى إنه عندما يضع كتابه في حقل الدراسات العربية، فإنه يصفه بأنه "أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر" [2]، وهذا الأمر ليس بالعجيب ما دام تمام حسان لم يكن الوحيد الذي يعترف بهذه العبقرية للجرجاني، حيث إن معظم اللغويين المحدثين يتفقون على أن " نظريته لا تزال من الناحية العلمية في مستوى يضاهي أحدث النظريات اللغوية في النصف الثاني من القرن العشرين"[3].

يرى تمام حسان أن موضوع البلاغة العربية بفروعها الثلاثة: المعاني، البيان، والبديع، لا بد أن يكون "العلاقة بين الأسلوب والمعنى، ثم يتخصص كل فرع منها بعدئذ في هذه الحدود بإقليمه الخاص ووسيلته الخاصة في علاج الموضوع المذكور"[4]، مستنداً في موقفه هذا من استقراء الدرس البلاغي العربي خصوصا جهود الجرجاني، فاتجاه الدرس

البلاغي العربي إلى المعنى أساساً "كان من طلائع كتبه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 18.

[2] نفسه، ص 10.

[3] جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، ط 1، 1980م، ص 5.

[4] تمام حسان، الأصول، ص 284.

للعلامة عبد القاهر الجرجاني (...). ولقد اتجهت عناية البلاغيين بالمعنى في النهاية ثلاثة اتجاهات مطابقة لتقسيم علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع"[1].

حتى إنه ليجعل المعاني قمة الدراسات اللغوية مخرجا هذ الفن من النقد الأدبي.

2-2 البديل المتجانس (المبنى/ المعنى):

ينظر تمام حسان إلى اللغة على أنها مجموعة من الأنظمة؛ منها النظام الصوتي والنظام الصرفي، والنظام النحوي، وقد شبهها بالجسم الإنساني باعتباره جهازا حيويا مركبا من أجهزة فرعية، كالجهاز الهضمي، والعصبي، والإفرازي، والتنفسي وغيرها. فكما أن "جسم الإنسان جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية نجد اللغة جهازا أكبر مكونا من أجهزة فرعية. والخلاف الوحيد بين هذا الجهاز الأكبر وذاك أن الجسم جهاز حيوي وأن اللغة جهاز رمزي عرفي"[2].

وعليه، تكون اللغة –وفقا لهذا الاعتبار–منظمة من الأنظمة يتألف كل منها من مجموعة من (المعاني) تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو (المباني) المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من (العلاقات) التي تربط ربطا إيجابيا والفروق (القيم الخلافية) التي تربط ربطا سلبيا –بإيجاد المقابلات ذات الفائدة –بين أفراد كل مجموعة

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 18.

[2] نفسه، ص 33.

المعاني أو مجموعة المباني"[1].

فالمباني التي هي تجريدات، جزء من اللغة مثلما هي المعاني، أما العلامات، فهي جزء من الكلام بشقيه المكتوب والمنطوق، ففائدة "اعتبار المبنى من أنظمة اللغة وفي تحليلها في ضوء هذه الأنظمة أن اللغة لا يمكن أن تكون نظاما من المعاني التي لا مباني لها لأن المباني رموز المعاني ولا غنى عن الرمز في نظام كاللغة هو في أساسه نظام رمزي. ولولا المباني(...) ما كان من الممكن للباحث أن يعبر عن حقائق البحث اللغوي مستقلة عن الاستعمال الفعلي للكلام، ولأصبح الباحث في عجزه عن التبويب والتقسيم في تيه لا ينتهي مداه من مفردات الاستعمال"[2].

كانت تلك الكيفية التي من خلالها وضح بها تمام حسان أهمية جانبي المعنى والمبنى، باعتبارهما يقفان في اللغة بإزاء العلامات التي هي من الكلام. وبين مدى أهمية

عنصر المبنى في الكشف عن المعنى اللغوي. حتى إن المعاني في أنظمة اللغة الثلاثة (الصوتي، والصرفي، والنحوي) هي" في حقيقتها وظائف تؤديها المباني التي تشتمل عليها

وتتبني منها هذه الأنظمة(...). من هنا يكون «المعنى» وظيفة «المبنى» ويكون «المبنى»، فعلى هذا الرأي رسم تمام حسان معالم نظرية لسانية للغة العربية المعاصرة، قوامها طائفة

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 34.

[2] نفسه، ص 38.

من المعاني، تقف إزاءها طائفة من المباني فلا يكاد الباحث في اللسانيات العربية يقع على مؤلف له إلا ويجده يخصّص فيه مجالا للحديث عن هذه الثنائية.

3- إعادة وصف اللغة العربية:

تعد تجربة تمام حسان في إعادة وصف اللغة العربية رائدة في حقل الدراسات اللغوية العربية، فقد ظهرت بوادرها مع أول مؤلَّف له وهو "مناهج البحث في اللغة،" ثم تبلورت أكثر وأخذت شكل مشروع علمي من خلال كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" فقد أراد أن يؤسس به ثورة علمية في " العربية كلها دراسة لها ووصفا لمعانيها وعلاقة معانيها بمبانيها التي تدل عليها، غير تارك مستوى من مستوياتها فلا الأصوات تهمل ولا ما فوق الأصوات من صرف ونحو ومعجم ودلالة. فلكل باب أراده جامعا للمسائل الكبرى،

محتفظا بخير ما ترك العرب على خير ما اتبع الغرب من منهج ونظر. فكانت أبواب الكتاب على ترتيب أرادته اللغة، بل أراده النظر الحديث فيها وما كان للألسنيين من تقسيم لها على مستويات أملته عليهم ضرورة المنهج ورغبتهم ورغبة المؤلف بعد في الكشف عن

نظام للغة يفسر وحدتها بالكشف عن تكونها وتفرعها وتعددها"[2].

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 34

[2] محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان ((اللغة العربية معناها ومبناها))، ص 198.

يرى تمام حسان أن هذا النموذج الذي أراد تجسيده، ويتميز به في حقل دراسة اللغة العربية، هو في حقيقته سنة عرفتها معظم اللغات العالمية؛ فـ"اتحاد اللغة واختلاف النماذج في عدد من الأمثلة منها ما يتصل باللغات الأوروبية التي أخذت النحو في البداية عن النموذج الذي بناه نحاة اللاتينية ثم تحولوا عن هذا النموذج اللاتيني إلى نماذج أخرى تخضع لتطور الدراسات اللغوية الحديثة واذا نظرنا إلى النماذج المختلفة التي بناها اللغويون للغة الإنجليزية في الوقت الحاضر وجدنا عددا من هذه النماذج يرد جنبا إلى جنب في أوساط اللغويين الأمريكيين. إن خضع جميع النماذج على اختلافها للفكرة التوزيعية أو تفرع عنها"[1].

بناءً على ما سبق ذكره، فقد ارتأى البحث أن يتتبع جهود تمام حسان في بنائه لنظرية لغوية حديثة للعربية من خلال نموذجه هذا الذي يصفه بأنه يقف بإزاء النموذج البصري الذي يمثله كتاب سيبويه، ويتميز عنه من حيث الدقة والتنظيم.

ومن أجل توخي الدقة والتنظيم في عرض آرائه، سوف يتطرق البحث فيها إلى مستويات اللغة، مبرزا أهم تلك الآراء ومطعما ذلك بين الفينة والأخرى بآراء الدارسين الذين تطرقوا لتلك الآراء بالإشادة أو النقد.

---

[1] تمام حسان، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص 145.

3-1 المستوى الصوتي:

يعتبر تمام حسان النموذج الذي وضعه لإعادة وصف اللغة العربية يقف بإزاء النموذج البصري الذي يمثله كتاب سيبويه، لكن يتميز عنه من حيث الأسس المنهجية التي بني عليها كل منهما والمواضيع التي عالجاها، وحتى الغاية التي يسعى كل منهما إلى تحقيقها، ولعل أهم ما يفرق النموذجين، هو منطلق الذي كل منهما؛ فالنموذج البصري يتخذ الكلمة الوحدة التي منها تنطلق دراسة اللغة، والنواة التي عليها بني صرح النحو العربي، ذلك لأنها "بحكم تعريفها لفظ مفرد وبحكم دلالتها تدل على معنى مفرد وهكذا يبدو

أن فكرة الإفراد هي التي أعانت على بناء الجملة على الكلمات دون غيرها من وحدات التحليل

أضف إلى ذلك أنها ذات صيغة مفردة وأن اللواحق والزوائد تلصق بها. وأن ظاهرة الإعراب في اللغة الفصحى ارتبط بالكلمة (...) ثم أن الكلمة بعد ذلك يمكن تقديمها أو تأخيرها

ويمكن أن تضام الكلمات الأخرى أو تنفصل عنها وبذلك كله يتحقق وجودها النظري باعتبارها وحدة تحليلية"[1].

---

[1] تمام حسان، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، ص 147–ص148.

أما تمام حسان فإنما يعد الصوت نواة الدراسات اللغوية، واللبنة الأولى فيها، ذلك أن "اللغات أول ما بدأت في صورتها السمعية، ويظهر عموم هذا الفهم بالاطلاع على أقوال العلماء في أصل اللغة، وعلى النظريات التي جاؤوا بها في افتراض بدء اللغات الإنسانية، إذ أن كل هذه النظريات تتكلم عن اللغة الأولى باعتبارها لغة سمعية"[1].

ومن جهة أخرى، نجده يفرق بين فرعين في دراسة الأصوات؛ علم الأصوات، وعلم التشكيل الصوتي، أي الفوناتيك والفونولوجيا، وكان ذلك بعد أن لاحظ أن "الأصوات حركات عضوية نشأت عنها قيم صوتية في نشاط حركي ذو نتيجة سمعية يدرس كلاهما

من الناحية الطبيعية؛ وأما العلاقات فهي ليست حركات طبيعية ولا تشريحية خاصة بوظائف الأعضاء، ولكنها ارتباطات من نوع معين بين الأصوات المتخارجة في الورود في الموقع الواحد، إذا كانت من حرف واحد وغير المتخارجة إذا كانت من حرفين أو حروف مختلفة.

هذه الارتباطات أفكار مدركة لا أشياء ملموسة ووسائل للتناول الدراسي للغة لا أجزاء من سلسلة الأصوات في المجموعة الكلامية"[2].

---

[1] تمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 115.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 65-66.

ثم فرق بين هذين الفرعين من الدراسة الصوتية من خلال تميُّز الكلام المنطوق عن المكتوب، فاعتماد الكلام المنطوق على المخارج، والصفات هو أساس الاختلاف بين الأصوات المنطوقة، فبفضلها ولما بينها من مقابلات أو قيم خلافية كانت منطلقا للسعي إلى إنشاء نظام صوتي تستخدم فيه هذه القيم الخلافية بين المخارج وبين الصفات كالتفخيم والترقيق والشدة والهمس، بخلاف الحركات الكتابية التي لا تتعدد فيها الأسس على هذا النحو ولذلك افتقر النظام الكتابي إلى التركيب والتنوع.

ويبرز في هذا السياق الدور الأساسي لظاهرتي النبر والتنغيم في النظام الصوتي فبانتمائهما إلى الكلام المنطوق، جعلتاه أقدر على كشف ظلال المعنى ودقائقه أكثر من الكلام المكتوب، الذي لم يستطع تجسيد هاتين الظاهرتين كتابيا بشكل دقيق.

وبذلك يكون الكلام المنطوق " مقدمة لا بد منها لدراسة الأنظمة (القواعد) اللغوية أو بعبارة أخرى لدراسة اللغة نفسها، وأصبح علم الأصوات تمهيدا بالملاحظة الحسية لإنشاء علم الصوتيات الذي هو تخطيط عقلي لقواعد الأصوات بناء على هذه الملاحظة الحسية"[1].

3-2 المستوى الصرفي:

تهتم دراسة هذا المستوى من اللغة بتناول "الناحية الشكلية التركيبية للصيغ والموازين الصرفية، وعلاقاتها التصريفية من ناحية، والاشتقاقية من ناحية أخرى. ثم تتناول ما يتصل

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 47.

بها من ملحقات، سواء كانت هذه الملحقات صدورا، أو أحشاء، أو أعجازا"[1].

ينبني النظام الصرفي عند تمام حسان على ثلاث دعائم أساسية، هي:[2]

- مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصيغ.

– طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة وبعضها لواصق وبعضها زوائد وبعضها مباني أدوات.

– طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.

3-2-1 آراء تمام حسان في تقسيم الكلم:

دعا تمام حسان –في تقديم كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" –جمهور الدارسين إلى الاهتمام بالأفكار التي يحملها الكتاب، خاصة أنه جعل مجال البحث فيه "هو اللغة العربية الفصحى بفروع دراستها المختلفة، فليس هذا الكتاب كتابا في فرع معين من فروع هذه الدراسات ولكنه يجول فيها ويأخذ من كل فرع منها ما يراه بحاجة إلى معاودة العلاج على طريقة تختلف اختلافا عظيما أو يسيرا عن الطريقة التي ارتضاها القدماء ثم ينتهي

---

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 204.

[2] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 82.

أخيرا إلى نتيجة مختلفة أيضا "[1]، فما لبثت أن لبت ثلة من الدارسين العرب هذه الدعوة بالإشادة بهذا المشروع الفكري حينا ونقده أحيانا، فكانت أكثر المواضيع التي أثارت

اهتمام الباحثين في هذا الكتاب أقسام الكلام الذي اقترحه تمام حسان، فكثرت التعليقات عليه ومحاولة تفسير الخلفية التي من خلالها اهتدى إلى تقسيمه الجديد هذا.

3-2-2 الاشتقاق:

يتحدد معنى الاشتقاق عند تمام حسان في أنه "رد لفظ إلى آخر لموافقته إياه في حروفه الأصلية، ومناسبته له في المعنى"[2]، وقد استنتج هذا التحديد من خلال ملاحظة علماء اللغة للارتباط الكائن بين الكلمات من حيث اللفظ والمعنى، حيث كان انتباههم لهذا الارتباط من خصائص الكلمة في اللغة العربية؛ والتي تتسم بأنها:

- ذات أصول ثلاثة، يعبر عنها في الميزان الصرفي بفاء الكلمة وعينها ولامها، وأنها تأتي مرتبة بهذا الترتيب.

- تأتي على هيئات صرفية معينة تسمى الصيغ، وأن الخلاف بين الكلمات من الناحية التركيبية هو في الواقع اختلاف بين هذه الصيغ.

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 09.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 212.

ومنه " يكون «الاشتقاق» حدودا مشتركة بين المنهجين(...) وبذلك تعتبر الأصول الثلاثة أصل الاشتقاق فالمصدر مشتق منها والفعل الماضي مشتق منها كذلك. وبهذا لا نستطيع أن ننسب إلى هذه الأصول الثلاثة أي معنى معجمي على نحو ما صنع ابن

جني وانما نجعل لهذه الأصول معنى وظيفيا هو ما تؤديه من دور تلخيص العلاقة بين المفردات"[1].

3-2-3 النبر:

قسم تمام حسان النبر في العربية إلى نوعين نبر صرفي، وهو الذي يختص ببنية الكلمة، ونبر سياقي، وهو الذي يقع على الجمل وليس على الكلمة المفردة، وليوضح النوع الأخير يقول: إما أن يكون تأكيديا أي رفعة الهواء أقوى وأعلى من التقريري واما أن يكون تقريريا (وهذان وصفان لا يمكن أن نصف بهما نبر الصيغة).

وأي مقطع في المجموعة الكلامية سواء كان في وسطها أو في آخرها صالح، لأنه يقع عليه مثل هذا النبر والمسافة بين كل نبر في الكلام المتصل متساوية، وهذا ما يسمى بالإيقاع"[2].

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 169.

[2] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005م، هامش(2) ص 44.

3-3 المستوى النحوي:

لتمام حسان تعريف خاص للنحو؛ إذ إنه يربطه بالأبواب، ولا يلخصه في الكلمات؛ أي في الأمثلة، ويمكن أن نستخلص من تعريفه كثيرا من المعاني التي تستجيب

لمعطيات اللسانيات الحديثة؛ فالنحو عنده "دراسة العلاقات بين أبوابه ممثلة في الكلمات التي في النص. فنحن حين نعرب نترجم الكلمات إلى أبواب، ليمكن أن ننظر إليها في ضوء علاقاتها النحوية (...) والسبب الذي نحول من أجله الكلمات إلى أبواب واضح جدا، وهو كما ذكرنا أن النحو دراسة العلاقات بين الأبواب، لا بين الكلمات.

حيث يبني تمام حسان النظام النحوي كما يلي[1]:

أ. طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو معاني الأساليب.

ب. مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة.

ج. ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية.

د. القيم الخلافية أو المقابلات بين أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

3-3-1 الإعراب:

يتحدد المعنى الوظيفي عند تمام حسان من خلال الكشف عن المعنى على المستوى الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي؛ أي وظيفة المبنى التحليلي دون حاجة للمعنى

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 178.

الدلالي، الذي ينتج عن هذا المعنى الوظيفي، مضافا إليه المعنى المعجمي والمقام. ولتأكيد رأيه هذا، أنشأ ما أسماه جملة هراءيه، توصل إلى إعرابها إعرابا مفصلا، فاستنتج

أن الإعراب يفتقر إلى معطيات الصوتيات، والصرف، ولكنه ليس فرعا عن المعنى الدلالي، "فإننا لن نستطيع إلا لأغراض البحث أن نفصل في الفهم بين الصوتيات والصرف والنحو(...) كذلك يتوقف إعراب نص ما على وظائف الأصوات ووظائف المباني ووظائف

القرائن ونظام العلاقات فلا يفصل في الذهن بين كل ذلك إلا لأغراض التحليل اللغوي، أما في التركيب فلا فصل"[1].

3-3-2 نظرية تظافر القرائن:

جعل تمام حسان من تضافر قرائن التعليق بديلا عن اعتبار العامل في تفسيره العلاقات النحوية، فقد "أكثر النحاة الكلام عن العامل باعتباره تفسيرا للعلاقات النحوية أو بعبارة أخرى باعتباره مناط «التعليق» وجعلوه تفسيرا لاختلاف العلامات الإعرابية وبنوا على القول به فكرتي التقدير والمحل الإعرابي وألفوا الكثير من الكتب في العوامل سواء ما كان منها لفظيا أو معنويا ووصل به بعضهم من حيث العدد إلى مائة عامل"[2].

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 185.

[2] نفسه، ص 185.

رفض تمام حسان نظرية العامل؛ في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية"؛ حيث بدا فيه متمسكا بإلغاء فكرة العامل؛ أما في كتاب "اللغة العربية معناها ومبناها"، فإننا نجده لا يكتفي بمجرد رفض نظرية العامل، إنما يقترح نظرية القرائن بديلا عنها، إذ يري تمام حسان، أن "تضافر القرائن يغني عن القول بفكرة العامل النحوي الذي قال به النحاة، والذي يرى بأنه جاء لتوضيح قرينة لفظية واحدة وهو قاصر عن تفسير الظواهر النحوية والعلاقات السياقية فتأتي فكرة القرائن لتوزع اهتمامها بالقسطاس بين القرائن النحوية اللفظية والمعنوية لتوصل إلى وضوح المعنى وأمن اللبس، وتنفي التفسير الظني والمنطقي لظواهر السياق،

وتصرف عن الجدل في متاهات العامل وأصالته أو ضعفه أو قوته، وتبعد عن التأويل والتعليل"[1]، ويقسم تمام حسان القرائن إلى:[2]

-**قرائن معنوية** :وتضم:

الإسناد، التخصيص، المخالفة، النسبة، التبعية.

-**قرائن لفظية** :وتضم:

العلامة الإعرابية، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام الأداة، النغمة.

ويعود مرة أخرى، ليؤكد أن تضافر هذه القرائن يغني عن فكرة العامل، وأن هذه

---

[1] خليل أحمد عمايرة، سلمان حسن العاني، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1987 م، ص 87.

[2] تمام حسان، نفسه، ص 191–ص 231.

القرائن كلها مسؤولة عند أمن اللبس، باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها، لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم. " فإذا كان من الممكن الوصول إلى المعنى بلا لبس مع عدم توفر إحدى القرائن اللفظية الدالة على المعنى فإن العرب كانت تترخص أحيانا في هذه القرينة اللفظية الإضافية لأن أمن اللبس يتحقق بوجودها وبعدمه. ولقد وجدنا في مأثور التراث العربي الكثير من الشواهد والأمثلة على هذه الظاهرة"[1].

ثم إننا نجده في كتاب "الخلاصة النحوية" يطبق القرائن اللفظية والمعنوية على اللغة العربية، فكان الهدف من الكتاب الرد على الدارسين الذين نقدوا نظرية القرائن التي اقترحها تمام حسان في كتاب "اللغة العربية"، يقول في مقدمته: "كان مما قرأته من نقد أن

النظرية لا تصدق إلا من خلال التطبيق فكان ذلك حافزا لي على محاولة التطبيق وكانت

النتيجة هذه الخلاصة النحوية"[2].

ومن أجل ذلك، سعى أن يحقق الكتاب أمرين اثنين هما[3]:

– أن تكون تطبيقا للدراسة النظرية المشار إليها وذلك بإبراز تضافر القرائن على بيان المعنى.

– أن تكون مركزة تركيزا شديدا بحيث تخلو من إيراد الشواهد إلا في أضيق الحدود.

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 233.

[2] تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2000م، ص 8.

[3] نفسه، ص 8.

4– آراء تمام حسان في التعليمية:

يرى تمام أن حقل تعليم اللغة هو أوسع حقول التطبيق اللغوي، والذي يقابل الجانب النظري من اللغة، ويشتغل على "العلاقة بين المبنى والمعنى، وعلى البحث في قوة هذه العلاقة وضعفها، للكشف عن مواطن "اللبس" و"أمن اللبس" في الاتصال اللغوي "[1].

بينما يختص الجانب التطبيقي من اللغة بـ "تسخير النتائج التي يصل إليها الباحثون أصحاب الجانب النظري لخدمة المجتمع. وليس التشعب في هذا الحقل تشعبا مذهبيا كالذي سبق، ولكنه تنوع في طرق "الانتفاع" بمعطيات البحث"[2].

4–1 تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها:

نجد تمام حسان، في مقدمة كتاب "التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها"، يحدد ثلاث مراحل أساسية تتم فيها عملية اكتساب أية لغة، وتتمثل هذه المراحل في:

التعرف، الاستيعاب، والاستمتاع.

فأما التعرف، فهو "إدراك العناصر اللغوية والتفريق بينها، وربط كل عنصر بوظيفة خاصة تبدو واضحة عند إنشاء التقابل بينها وبين وظائف العناصر الأخرى. وذلك كإدراك

السين في «سار» بمقابلتها بالصاد في «صار»، وربط كل من الصوتين بوظيفة

---

[1] تمام حسان، قضايا اللغة، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ع14، مارس 1979م ص 80.

[2] نفسه، ص 86.

خاصة هي بيان الكلمة التي هو فيها، والتفريق بينها وبين أختها، وكإدراك الفرق بين المقصود بصيغتي «فاعل» و«مفعول»، ووظيفة كل منهما في مقابل الأخرى"[1].

وتلي التعرف مرحلة الاستيعاب؛ التي لها "جانبان: جانب المعنى الثقافي وجانب المعنى البلاغي الأسلوبي"، إذ ترتبط اللغة –وفق المعنى الأول –بالجانب الثقافي للمجتمع، أو كما يعرف في حقل الدراسات اللغوية برؤية العالم، وهي من القضايا اللغوية التي تناولها همبولدت، V.Hamboldt وأفرد لها نظرية. أما الجانب الثاني فإنه "ينسب إلى أصل وضع الكلمة –كما يقول فقهاء اللغة–، ثم عما يطرأ على هذا المعنى من تغيرات بلاغية وأسلوبية، يعود بعضها إلى ارتباطات المنطق، وبعضها إلى حدود العرف"[2].

وبعد المرحلتين السابقتين، تأتي مرحلة الاستمتاع؛ ويقصد به "التذوق الأدبي واد ارك مواطن الجمال في النص، وهذا لا يتحقق إلا بعد التعرف على مباني النص اللغوي واستيعاب معانيه. فإذا تحقق هذان الأمران أصبح من يستقبل الاتصال الأدبي بمكان يؤهله، إذا كان له الاستعداد الفطري أو الكسبي أن يتذوق ما يستقبل من الاتصال"[3].

ويفصل تمام حسان في عرض كل مرحلة من هذه المراحل على حدا، ويردفها بذكر

---

[1] تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، 1984م، ص 7.

[2] تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 95.

[3] نفسه، ص 111.

موقف غير العربي منها أثناء تعلمه للغة العربية، ثم يقترح بعضا من الحلول النظرية والتطبيقية من أجل تجاوز الصعوبات التي تلاقي معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها ومن ذلك[1]:

– أن يلقي المعلم درس اللغة العربية الفصحى باللغة العربية الفصحى، دون إقحام للهجة العامية، ذلك أن أصوات الفصحى تختلف عن أصوات العاميات، مما يؤثر سلبا على العملية التعليمية، فيعوق التعرف على المبنى واستيعاب المعنى على مختلف المستويات.

– تعليم الأصوات العربية لغير الناطقين بها لا بد أن يستند إلى دراسة علمية أكاديمية لهذه الأصوات، لأن التعليم تطبيق، والتطبيق يستند إلى معرفة نظرية، ولا يقوم على فراغ، ومن ذلك التعرف على تطور نطق بعض الأصوات العربية.

– حث المعلم على حسن استعمال أصوات العربية، واستعمال الأصوات المضبوطة في قاعة الدرس وترك التكلم بالعامية في وقفته أمام التلاميذ تركا تاما. ويصدق ذلك بوجه خاص على معلم غير الناطقين بالعربية، لأن وفاء المعلم بهذه المطالب يعين الطالب الأجنبي على حسن إدراك الفارق بين العامي الذي يسمعه خارج الدرس، وبين الفصيح الذي ينبغي ألا يسمع في القاعة إلا هو.

---

[1] تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 67 –ص91.

– أن تكون خطة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها خاضعة لتخطيط مركزي على مستوى العالم العربي، كأن يوكل أمرها إلى الجامعة العربية من خلال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بحيث تكون المنظمة هي التي تشرف على التخطيط، وعلى تدريب المعلمين لهذا النوع من النشاط في مختلف البلاد العربية، وأن يشتمل تدريب المعلمين على تدريبهم على تعليم أصوات اللغة العربية لغير الناطقين بها.

– الطريقة المثلى لتعليم معاني المفردات هي تعريض المتعلم للاستعمال، بحيث يسمع الكلمات في بيئاتها السياقية منطوقة، ويراها مكتوبة، فيوحي السياق بمعناها لأن السياق

بما يحيط به من قرائن مقامية حالية، ومقاليه لفظية، وما يربطه من علاقات نحوية، يعد قرينة كبرى في الدلالة على المعاني.

ويضاف إلى هذا، حسن اختيار المادة التعليمية، والمواضيع التي يراد تعليمها للطلاب، ويجب في ذلك مراعاة مستوى المتعلم والغرض الذي من أجله يسعى لتعلم اللغة العربية، ويكون وفق معايير خمسة هي:[1]

1.أن تكون المادة المختارة من شأنها أن تؤدي إلى النتائج التي نرغب في الوصول إليها، وهي توليد المحبة في نفوس الدارسين للثقافة العربية والإسلامية، والكشف عن تفوق ما

---

[1] تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 92 – ص 95.

تشتمل عليه من القيم الدينية والخلقية، ليقبل الطالب على تعلمها معتزا بها، معجبا بثرائها، حفيا بما فيها من العبرة والموعظة الحسنة.

2.البساطة أي ألا يشتمل النص المعروض على مادة معقدة عسرة الاستيعاب سواء من الناحية اللغوية كالتراكيب النحوية الملبسة التي تتعدد فيها احتمالات المعنى، أو التراكيب المربكة التي يكثر فيها التقديم والتأخير، أو الفصل بين المتلازمين، أو الحذف، أو التقدير، أو الأساليب البلاغية التي تتسم بالجفاء كالاستعارات التي تخفى فيها العلاقة،

ويشتمل ذلك أيضا اختيار ما يسهل استيعاب الطالب له، ولا يضطر المعلم معه أن يدخل في صراع مع اختيار الكلمات للشرح، لأن حصيلة الطلاب من الكلمات قليلة، والتعرض لكثرة

الشرح بسبب التعقيد ستلجئ المعلم إلى استعمال كلمات تحتاج هي نفسها إلى الشرح وهكذا ينشأ موقف غير مستحب.

3.اجتناب اختيار عناصر من الثقافة العربية الإسلامية تتعارض مع ثقافات الدارسين، فتسبب لهم إحساسا بالحرج أو الغضب أو الدونية أو النفور من الدرس أو تشحذ في نفوس الطلاب المقاومة والدفاع عن ثقافات بلادهم.

4.حسن العرض، فلا ينبغي أن يقتصر الأمر على مجرد قراءة النص أو سرد القصة، وانما يجب أن يتعدى ذلك إلى الاستعانة بالوسائل السمعية والبصرية التي لا يستغنى عنها في التعليم الحديث للغة الثانية، بل في تعليم اللغة الأولى في بعض البلاد.

5.المواءمة بين المحتوى الثقافي في درس اللغة وبين غرض الطالب في تعلم اللغة العربية. فالغايات التي يسعى إليها الطلاب غير الناطقين باللغة العربية متعددة متنوعة، فقد يكون شخصيا، أو اجتماعيا، أو اقتصاديا، أو دينيا، وبالتالي فمراعاة القصد من تعلم اللغة العربية غاية في الأهمية.

إن ما سبق، إشارة إلى إسهامات تمام حسان في تعليم اللغة العربية، من خلال تجربته الخاصة مع غير الناطقين بها، حاول من خلالها معالجة بعض الصعوبات التي تلاقي معلمي اللغة العربية حينما يتصدون لتلقينها لغير أهلها وهذه الصعوبات تصيب مستويات اللغة جميعا الصوتي منها، والصرفي والمعجمي والنحوي.

4-2 تعليم النحو:

يرى تمام حسان – ويتفق معه كل مشتغل في حقل التعليمية –أن عملية التعليم تتوقف على ثلاثة أبعاد أساسية، هي: المتعلم، والمعلم، والجهد التعليمي، ويربط البعدين الأولين بعلم النفس اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي، وبالدراسات التربوية البيداغوجية لأنهما مرتبطين بالإنسان، والتفكير حولهما يجب أن يمر عبر هذه العلوم. أما الجهد التعليمي فقد

"ألصق الأبعاد الثلاثة بما نسميه "علم اللغة"، سواء في ذلك الجانبان: النظري والتطبيقي"[1].

---

[1] تمام حسان، اكتساب السليقة العربية من خلال التعليم في ضوء الدراسات الحديثة، ضمن كتاب: الفكر اللغوي الجديد
علم الكتب، القاهرة، ط 1، 2011م، ص 41.

ويؤكد تمام حسان على نقطة غاية في الأهمية، تتمثل في البرامج وكيفيات إعدادها؛ حيث إنه يصر على أن وضع البرامج يجب أن يوافق السياق الذي من أجله

أعدت؛ إذ إن إعداد برنامج تعليمي لا يعتمد على جهود فردية، بل لا بد أن يكون فيه تضافر جهود كل

المختصين، والاتفاق حول عناصر مختارة، مراعيا في ذلك منهجا ملائما يرتكز على مقدمات موضوعية، ومن ثم مراعاة الترتيب المناسب لهذه العناصر المختارة بطريقة تسهل استيعاب المتعلم للمادة التعليمية؛ ثم نجده يسقط هذه المقدمات وهذا المنهج على النحو العربي من أجل الوصول إلى إعداد برنامج لتعليم النحو.

وفي هذا الصدد، نجد تمام حسان قد خاض في طريقة عرض المادة التعليمية للتلاميذ، حيث يعرض رأي الباحثين في التعليمية للوصول إلى أنجع طرائق التدريس، إذ تتراوح آراؤهم بين تفضيل الطريقة القياسية، والطريقة الاستقرائية، فقد ثار نقاش بين أنصار الطريقتين، فيرى أصحاب الطريقة الاستقرائية أن "عملية التعلم في كل صورها سواء داخل المدرسة وخارجها لا تتم في الحقيقة إلا بواسطة الاستقراء وان الذهن الإنساني بحكم تكوينه مهيأ للاتجاه من الخاص إلى العام وليس العكس"[1].

يضيف تمام حسان إلى آرائه المتعلقة بالتعليمية – والتي سبقت مناقشتها –إشارات طفيفة لآليات أخرى معروفة في هذا الحقل، فمما يتصل بالتعليم: الشرح، الإيضاح، التمرين

---

[1] تمام حسان، حصاد السنين من حقول العربية، ص 38.

والاختبار، مع التنويه بضرورة عناية المعلم بالتدريب والتمرين؛ "لأن عرض القواعد بمفرده

لا يؤدي إلى نتيجة إلا إجادة التعليل مع العجز عن صحة الأداء إذا لا يتأتى كسب المهارة في الاستعمال إلا من خلال الممارسة، وما دامت اللغة الفصحى ليست لغة البيت، ولا لغة السوق، فإن الطريق الوحيد إلى الممارسة هو ما يشتمله برنامج الدراسة من ساعات التدريس، فهناك دروس المحادثة، والإنشاء الكتابي، والمطالعة الجبرية أمام التلاميذ، ثم النشاط المدرسي في صورة التمرين على المناظرة، والخطابة والمحاضرة.

كان ما سبق عرض للآراء اللغوية التي تميز بها تمام حسان، وطبعت مسيرة علمية جاوزت الخمسين عاما، وكان لها الصدى العميق عند طبقات متعددة من المهتمين بالدرس اللغوي العربي الحديث، فانقسموا في ذلك بين مؤيد لآرائه ومتأثر بها، وبين ناقد لها وحتى قادح في بعض الفترات.

خاتمة

خاتمـة

من خلال عرض تجربة اللساني العربي تمام حسّان، يشهد له كل ملم بالدرس اللساني العربي بالتميز، فكان النظر في منهجيته، ومحاولة الكشف عن المرجعية النظرية والإجراءات العملية التي بنت فكره اللساني، بالإضافة إلى أهم إسهاماته في الرقي بدراسة اللغة العربية، ضرورة من أجل الموازنة بين مشروعه والبحث عن أوجه تأصيل اللسانيات العربية وأصالة الجهود اللغوية العربية في نظره، وكذا موقفه من تلك الجهود العربية خاصة عند الرعيل الأول من العلماء العرب، وبعض المتأخرين الذين تميزت أعمالهم بالعلمية، ولم تقتصر على اجترار ما ذكره الأولون.

ومن أجل ذلك، فضل البحث عرض أفكاره من أجل مناقشة آرائه اللسانية، وما يحمله المشروع الفكري الخاص به، وسبق ذلك بفصل تمهيدي عن تاريخ الدراسات اللغوية عند العرب منذ البوادر الأولى لها حتى العصر الحديث، خاصة مرحلة تعرف الثقافة العربية على منجزات الغرب فيما يخص الدرس اللساني الحديث، والنظريات اللسانية الحديثة، وتأثر الدارسين العرب بمختلف المدارس اللسانية الغربية، وكيفية انتقال تلك الأفكار الغربية إلى الجامعات العربية، وتبعات ذلك في دراسة اللغة العربية ذاتها وفق تلك المناهج الحديثة، خاصة أن أغلب تلك الإسهامات ترنو إلى الرقي باللغة

العربية، ولنا في الجهود الرامية إلى تيسير قواعد اللغة العربية، وتلك التي تسعى إلى تحقيق سبل تعليمها لغير الناطقين بها خير مثال.

لقد سعى تمام حسان إلى وضع نظرية لغوية خاصة باللغة العربية تستجيب للمتطلبات النظرية والإجرائية للنظريات العلمية الحديثة الخاصة باللغة.

أن المتتبع لجهود تمام حسان، يلاحظ جليا إلمامه بالتراث اللغوي العربي، كما يلمس عنده روحا نقدية تجعله يختار من المواضيع اللغوية عند القدامى ما انفرد منه وتميز بالعلمية ويظهر له شدة إعجابه بما قدمه الرعيل الأول من علماء العربية، فهو يعد ما أنتجه خاصة الخليل بن أحمد وسيبويه، ومن عاصرهما وسار على منهجهما، من قبيل الابتكار العلمي العربي.

تصنف آراء تمام حسان اللغوية إزاء النظريات اللغوية العربية القديمة، التي اتسمت بالابتكار والعلمية؛ بجعله مشروع إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق المنهج الوصفي "أجرأ محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني".

إذ ينطلق مشروع تمام حسان في دراسة اللغة العربية من إيمانه بضرورة إعادة التراث اللغوي العربي وفق المناهج الحديثة، خاصة المنهج الوصفي، وهو يتضمن إعادة وصف اللغة العربية الفصحى بالاعتماد على هذا المنهج، فهذا المشروع مبني أساسا من نظرة نقدية للتراث اللغوي العربي. ويرنو من خلال إعادة قراءة التراث اللغوي العربي إلى

الاهتمام أكثر بجانب المعنى، وجعل عنصر المعنى جنبا إلى جنب مع المبنى؛ فالدراسات اللغوية العربية القديمة حسبه قد فصلت بين الجانبين، وكانت أميل إلى المبنى.

فسعيه إلى التركيز على المعنى في المشروع اللغوي، الذي يرمي إلى تحقيقه من خلال إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، يرجع إلى تأثره بالنظرية السياقية التي عرف بها أستاذه فيرث، ودليل ذلك اعتباره النحو العربي في مجمله "شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية قد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق".

نتج عن الدراسة النقدية التي قام بها تمام حسان للتراث العربي نظرية قائمة على رفض العامل واقتراح البديل الذي يقوم مقامه، فكان من ذلك ألا يقتصر النظر في المؤثرات اللغوية من خلال افتراض عامل، وأن يكون البديل المقترح قادرا على تفسير العلاقات بين العناصر اللغوية التركيبية من خلال شبكة من القرائن اللفظية والمعنوية، لتنتج عن ذلك "نظرية القرائن".

إن اعتماد تمام حسان على مرجعية معرفية غربية في نقد الدراسات اللغوية العربية، ومحاولة إعادة وصفها، جعلت بعض الدارسين لا يصفونها بالأصالة التي تجعلها تقف جنبا إلى جنب مع ما قام به العلماء القدامى؛ إذ نصادف حلمي خليل لاحظ

أن جهود تمام حسان اللغوية ليست نموذجا جديدا يقف أمام النموذج البصري، وانما هي في حقيقتها دراسة نقدية مع إعادة ترتيب وفق المنهج البنيوي الوصفي، مع تميزها عن غيرها من المحاولات العربية في شمولها وتنظيمها.

والمتتبع للجهود اللغوية عند تمام حسان يلاحظ أنها –مع تنوعها وثرائها وضبطها–لا تمس كثيرا مجال تعليمية اللغة، وخاصة تعليم اللغة العربية واقتصرت في ذلك على مؤلف واحد موجه لغير الناطقين باللغة العربية، إلى جانب عدد يسير من المقالات في المجلات العلمية، وهذا ما يجعل آراءه اللغوية لا تتعدى مجال التنظير، وتفتقر إلى الإجراءات العملية التي من شأنها أن تسهم في ترقية اللغة العربية، ومجال التعليمية هو مجال عملي من شأنه أن يضفي حيوية على اللغة.

يعتبر بعض الدارسين العرب ممن تأثروا بآراء تمام حسان، أن جهوده اللسانية تقف إلى جوار الجهود اللغوية المتميزة في التراث اللغوي العربي، إذ يعدونه مجدد اللغة العربية، وكتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" كتاب سيبويه في صبغة جديدة.

كان ما سبق بعض الإسهامات اللسانية لتمام حسان، من خلال تتبع مختلف آرائه اللغوية المستمدة من ملاحظات بعض الدارسين العرب الذين تعرضوا لآرائه، إضافة إلى ملاحظات منبثقة عن النظر في مختلف المؤلفات العلمية للباحث، ومن ذلك فإن البحث

في نهايته توصل إلى اقتراح بعض التوصيات، التي قد تلتفت إلى تحقيقها الأبحاث العلمية مستقبلا والتي تتناول جهود تمام حسان نلخصها في النقاط الآتية:

- جهود تمام حسان، من الجهود العلمية المتميزة في حقل الدراسات اللسانية العربية الحديثة، فإذا وجدت آلية لتحويرها كان ذلك مما يفيد اللغة العربية أيما إفادة.
- الاستفادة من الآراء الإجرائية التي اقترحها لخدمة اللغة العربية، لتكون تلك الإسهامات عملية تحقق أهدافا ملموسة، وتخرج عن إطارها النظري.
- اقتراح تخصصات في الجامعة –وخاصة في مرحلة الماستر–وحتى مشاريع دكتوراه خاصة بدراسة وتطوير أفكاره، لغرض فهمها وتطبيقها من أجل النهوض باللغة العربية وترقيتها.
- التعمق في آراءه اللغوية من أجل فهمها ووضعها في سياقها المعرفي قصد تقييمها والاستفادة منها في الأبحاث اللسانية الرامية إلى تطوير اللغة العربية.

تجدر الإشارة في نهاية البحث أننا حاولنا من خلاله جمع جهود واحدا من أهم اللسانيين العرب، فكانت محاولة من خلال عرضها ومناقشتها، واثارة اهتمام الدارسين إلى تناول الإسهامات اللسانية الحديثة المتميزة، والى إقامة دراسات نقدية للكتابات اللسانية العربية الحديثة قصد الاستفادة من إيجابياتها وتقويم سلبياتها خدمة للغة العربية، كي تسترجع مكانتها كلغة للعلم تساير اللغات العالمية.

السيرة الذاتية لتمام حسان:

تمام حسان (14 ربيع الأخر 1336 / 27 يناير 1918م– 11 أكتوبر 2011م) عالم نحوي عربي صاحب كتاب اللغة العربية معناها ومبناها الذي وضع فيه نظرية خالفت

أفكار النحوي الكبير سيبويه تمام أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللغة العربية وقد أنجز ذلك أثناء عمله في الماجيستر (عن اللهجة الكرنك) والدكتوراه "عن اللهجة العدنية" وشرحه في كتاب مناهج البحث في اللغة عام 1955م عميد كلية دار العلوم الأسبق وأستاذ علم اللغة الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والآداب عام 1426 / 2006م.

إنجازاته:

أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللغة العربية حيث لم تكن مدروسة قبله وكانت تدرس فقط في اللغات الأجنبية الرئيسية.

أول عالم لغوي في العالم يدرس "المعجم" باعتباره نظاما لغويا متكاملا تربطه علاقات

محددة وليس مجموعة مفردات أو كلمات كما كان المستقر عالميا فهو الذي نبه إلى فكرة النظام اللغوي للمعجم وأن هناك كلمات تفرض الكلمات التي تستعمل معها فهناك أفعال لابد لها من فاعل وأخرى لابد أن يكون فاعلها عاقلا.

أول عالم لغوي عربي يخالف البصريين والكوفيين في دراسة الاشتقاق حين اقترح "فاء الكلمة وعينها ولامها" كأصل للاشتقاق في حين كان أصل الاشتقاق عند البصرة "المصدر" وأصله عند الكوفة "الفعل الماضي".

أول من فرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي فقال بالزمن الصرفي الذي هو وظيفة الصيغة المفردة من دون جملة (ماض مضارع أمر) والزمن النحوي الذي يختلف عنه وقد يخالفه مثلما هو الحال في قوله تعالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب " فهو زمن المضارع صرفيا لكنه ماض نحويا.

كما كان تمام حسان من أكثر علماء اللغة العربية الذي سعوا إلى التضييق على فكرة الشذوذ والندرة وعدم القياس التي إعتادها النحويين والتي تهدر ميراثا لغويا تؤدي إلى جمود اللغة فقال بالترخص في القرائن المبنية على تضافر القرائن في إيضاح المعنى وزيادة بعضها عن الحاجة إلى الإفادة كما كشف عن نوع من الاستعمال يخالف القواعد ولكنه يقاس عليه اسم الأسلوب العدولي.

مؤلفاته:

على مدى السنوات الطويلة لم ينقطع عطاؤه العلمي من تأليف وترجمة إضافة إلى عشرات المقالات والبحوث التي نشرت في الدوريات العربية. و هنا قائمة الكتب التي ألفها وترجمها:

-اللغة العربية معناها و مبناها : " نشر في حدود 1973م لكن أفكاره تعود إلى سنوات الخمسينات.

- الأصول : دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : النحو، فقه اللغة، البلاغة.

- مناهج البحث في اللغة : نشر سنة 1955م

- اللغة بين المعيارية و الوصفية : نشر سنة 1958م

- الخلاصة النحوية

- البيان في روائع القرآن : من أعماله الأخيرة، نشرته مؤسسة عالم الكتب، القاهرة.

- التمهيد لاكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها

- مقالات في اللغة و الأدب

- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب

- الفكر العربي و مكانته في التاريخ

- اللغة في المجتمع (مترجم)

- أثر العلم في المجتمع (مترجم)

- النص و الخطاب و الإجراء (مترجم)

- خواطر من تأمل لغة القران الكريم 2006

- اجتهادات لغوية (2007)

- مفاهيم ومواقف في اللغة والقران (2010)

- الفكر اللغوي الجدٌد (2011)

- حصاد السنين

- من حقول العربية (2011)

جوائزه:

رغم كثرة أولويات تمام حسان فإن محصوله من التكريم والشهرة قليل بما لا يوازي ما ناله تلامذته. فمن أهم الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة آل بصير بالمملكة العربٌة السعودٌة عام 1984م

- جائزة صدام عام 1987م

- جائزة الملك فيصل العالمية 2006م

- تكريم في المؤتمر الدولي للغة العربية و التنمية البشرية بوجدة ، المغرب، 2008م.

مصادر ثقافته اللغوية:

- الأصول في النحو، لابن السراج.

- إعجاز القرآن، للرماني.

- الإغراب في جدل الاعراب، ابن الأنباري.

- الاقتراح في أصول النحو، السيوطي.

- ألفية بن مالك.

- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني.

- البيان و التبيين، للجاحظ.

- الجنى الداني في معرفة حروف المعاني، لابن أم قاسم المرادي.

- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني.

- الرد على النحاة، لابن مضاء.

- شرح ابن عقيل على الألفية، ابن عقيل.

- المزهر في علوم اللغة، للسيوطي.

- مغني اللبيب، ابن هشام.

- مفتاح العلوم، للسكاكي.

- المفصل في النحو، الزمخشري.

- همع الهوامع للسيوطي.

دراسة لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان:

التعريف بكتاب اللغة العربية معناها ومبناها: صدر كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، في طبعته الأولى سنة ،1973عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وأعيد طبعته مرات عديدة، في المغرب ومصر، وهو عبارة عن خلاصة أفكار تمام حسان، التي شغلته حين من الدهر، وهو يدرس المنهج الوصفي البنيوي في دراسة اللغة، وحاول تطبيقه على اللغة العربية، فهو كما يقول عن كتابه نتاج زمن طويل من أعمال الفكرة ومحاولة إخراجها في صورة مقبولة ويقوم هذا الكتاب على دعامتين:

الدراسات اللغوية كما تتمثل في كتب النحو والصرف والبلاغة

النظر إلى هذه الدراسات من خلال قضية المعنى، كما تتمثل أساسا في نظرية السياق عند فيرث.

وكما كان تمام حسان ينشد المعنى، وهو ما ذهب إليه أصحاب المدرسة الاجتماعية التي لا ترى الدلالة مكتملة بالسياق الاجتماعي، أي ما يسميه مالينوفسكي

(Malinowski) سياق الحالcontext of situation و سماه تمام حسان (المقام) ويقابله (المقال) الذي هو السياق اللغوي، وهو ما يوافق عبارة (لكل مقام مقال).

عند علماء البلاغة، فإن محمد صلاح الدين الشريف يعتقد أن تمام حسان ينتسب إلى مدرسة لغوية، ذات منحى اجتماعي ما، قد تكون المدرسة البريطانية وقد تكون مدرسة (فيرث) بالتحديد.

فلا شك أن تمام حسان مثل فيرث يجعل المعنى غاية الدراسات اللغوية، ويقف بالدلالة على السياق لاجتماعي، فيقول "فإذا كان صحيحا ما رأيناه من اتصال الكاتب بآراء فيرث فنحن أمام كتاب أخذ من النحو القديم وصفه وتحليله، ومن البلاغة اهتمامها بالنظام والتركيب، ساكبا هذا كله في قالب واحد متبعا في حمله مبادئ مصدرها مدرسة لندن. معتنقا في دراسته هذه للعربية نظرية اللندنيين في الدلالة، وموقفهم المعارض للمدرسة البنيوية الشكلية التي سادت الدراسات الإنجليزية في الولايات المتحدة والتي عزلت المعنى وأهملت السياق ودوره في الوصول إلى الدلالة، معتمدين أن الكلمات لا تؤدي معنى إلا إذا كانت موضوعة في سياق معين. وهو تحول منهجي أدى بالأبحاث اللسانية الحديثة أن تؤخذ السياق بمحمل الجدية أثناء تعاملها مع اللغة، و بذلك تجاوز تمام حسان البنيوية الشكلية ، التي اعتمدها عبد الرحمن أيوب، وربط الدلالة بالشكل عند محمود السرعان، إلى استثمار الدراسات اللغوية القديمة، و صاغها في قالب جديد ،

مستأنسا بآراء فيرث في دراسة المعنى. ويعد هذا الكتاب الوحيد الذي حاول تطبيق آليات المنهج الوصفي على اللغة العربية، فهو بلا شك يقف وحيدا، في مجال تطبيق النظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية، و أعني بالنظرية اللغوية هنا، الإطار العام و التحليلي للبنيوية الوصفية التي سيطرت على الفكر اللغوي إلى ما قبل ظهور نظرية تشومسكي في رأي بعض المؤرخين، كما أعني بها أيضا بصورة خاصة، نظرية فيرث وهي نظرية كما أشرت من قبل، تؤثر بها ثلاثة من دعاة الوصفية هم: تمام حسان و كمال بشر، و محمود السرعان، و نعت تمام حسان جهد هذه المرحلة بالإطار الفكري الذي أودعه في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها تلك فترة (يقصد قبل 1960م) أسميها مرحلة ما قبل التأطير، إذ لم أكن حتى ذلك العام قد وصلت إلى الفكر الذي أودعته في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها، إلا أن هذه الفترة امتدت ما بعد ذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

- تمام حسان، الأصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو–فقه–اللغة–البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، 2009م.
- تمام حسان، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13–19 ديسمبر 1978م.
- تمام حسان، اكتساب السليقة العربية من خلال التعليم في ضوء الدراسات الحديثة، ضمن كتاب: الفكر اللغوي الجديد علم الكتب، القاهرة، ط1، 2011م.
- تمام حسان، التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، 1984م.
- تمام حسان، حصاد السنين من حقول العربية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2012.
- تمام حسان، الخلاصة النحوية، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2000م.
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط1، مصر، 1990م.
- تمام حسان، قضايا اللغة، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، ع14، مارس 1979م.

- جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، ط1، 1980م.
- تيمور محمود، مشكلات اللغة العربية، نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1 ،2006م.
- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1 ،2009م.
- حافظ إسماعيلي علوي، النحو العربي واللسانيات الوصفية، مجلة فكر ونقد، ع72، أكتوبر 2005م.
- حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن، ط1 ،2000م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ج5 1979م.
- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعارف الجامعية، مصر، 1996م.
- خليل أحمد عمايرة، سلمان حسن العاني، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1987م.

- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط2 ،1973م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، الجزائر، 2012م.
- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2 ،1986م.
- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.
- محمد صلاح الدين الشريف، النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان ((اللغة العربية معناها ومبناها))، حوليات الجامعة التونسية، ع17، 1979م.
- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005م، هامش(2).
- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين.
- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، مكتبة وسام، الأردن، ط2،1987م.

فهرس المحتويات

مـقدمـة ..... – 2 –

توطئة: ..... – 11 –

1–التفكير اللغوي عند العرب: ..... – 12 –

2–ظهور اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: ..... –14–

2–1النهضة اللغوية والإطار الفكري لظهور اللسانيات العربية: ..... –16–

2–2المناهج اللسانية العربية الحديثة: ..... –19–

2–2–1 المنهج الوصفي التقريري: ..... –20–

2–2–2 المنهج التأصيلي:– ..... –25–

1–خصائص نظرية تّمام حسان اللغوية: ..... – 28 –

2–موقف تّمام حسان من التراث اللغوي العربي: ..... – 29 –

2–1 الدراسات العربية بين المبنى والمعنى: ..... – 30 –

2–2 البديل المتجانس (المبنى/ المعنى): ..... – 32 –

3–إعادة وصف اللغة العربية: ..... – 34 –

3–1 المستوى الصوتي: ..... – 36 –

3–2 المستوى الصرفي: ..... – 39 –

3–2–1 آراء تمام حسان في تقسيم الكلم: ..... – 40 –

3–2–2 الاشتقاق: ..... – 41 –

3–2–3 النبر: ..... – 42 –

3–3 المستوى النحوي: ..... – 42 –

3–3–1 الإعراب: ..... – 43 –

3–3–2 نظرية تظافر القرائن: ..... – 44 –

4–آراء تمام حسان في التعليمية: ..... –45–

4–1 تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: ..... – 47 –

4-2 تعليم النحو: ..... - 53 -
خاتمة..... - 54 -
السيرة الذاتية لتمام حسان: ..... - 59 -
إنجازاته: ..... - 59 -
مؤلفاته: ..... - 60 -
جوائزه: ..... - 62 -
مصادر ثقافته اللغوية: ..... - 62 -
دراسة لكتاب اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان: ..... - 64 -
قائمة المصادر والمراجع: .....-67-
الفهرس: .....-70-
الملخص: .....-72-

ملخص

تنطلق الكتابة اللسانية العربية الحديثة بمختلف اتجاهاتها من نظرة خاصة إلى التراث اللغوي تستند في عمومها على قضية التأثر بالمناهج اللسانية الغربية، ويتولد عن ذلك آراء ومواقف متباينة تجاه هذا التراث تتجلى من خلال محاولات لإعادة تقديم تلك القضايا في اللغة العربية بثوب جديد تستجيب لروح العصر الحديث.

وتحتاج تلك الكتابات اللسانية بدورها إلى وقفة تقييمية تشمل مراجعة الحصيلة العربية فيما يخص الكتابة اللسانية، وتوجهات أصحابها ومساهماتهم في تقديم اللسانيات في الأقطار العربية، وكذلك محاولة استجواب تلك المحاولات للاستفادة من إيجابياتها وتقويم سلبياتها.

جاء هذا البحث خدمة لهذا الهدف الإجرائي من خلال التطرق بالعرض والتحليل والنقد لجهود أحد هؤلاء اللسانيين الذي لا يختلف اثنين في تميزه في حقل الدراسات اللسانية العربية، وهو تمام حسان.

كلمات مفتاحية: اللسانيات العربية، الكتابة اللسانية، تمام حسان، التراث اللغوي العربي.

Résumé :

Les écrits traitant de la linguistique arabe contemporaine recèlent, sous leurs multiples aspects, une vision spécifique de l'héritage linguistique et portent en eux une interrogation sur l'influence exercée par les méthodes linguistiques occidentales. Ce constat a généré de multiples opinions et attitudes qui se manifestent dans différentes approches qui tentent de représenter ces questionnements concernant la langue arabe, sous une forme nouvelle, adaptée au contexte contemporain. Ces écrits nécessitent une évaluation rétrospective incluant : un examen des résultats obtenus par la recherche arabe, une étude de l'orientation des chercheurs et de leurs contributions à la linguistiques arabe contemporaine ainsi qu'une lecture critique capable de remettre en question ces approches pour d'une part, bénéficier de leurs avantages, et d'autre part, remédier à leurs inconvénients.

Le présent travail de recherche a pour ambition d'atteindre cet objectif par la présentation, l'analyse et la critique des travaux du linguiste : Tammam Hassan, dont les apports dans le domaine de la linguistique ont été unanimement grands.

Mot clé : linguistique arabe, écriture linguistique, tammam hassan, héritage linguistique arabe.